بحث محكم | قسم الدين وقضايا المجتمع الراهنة | 03 يونيو 2021

سلطة «الفايك نيوز» والكذب في شبكات التّواصل الاجتماعيّ

جوهر الجمّوسي
باحث تونسي

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2021
All rights reserved © 2021

الملخّص:

تتمحور إشكاليّة دراستنا حول «الفايك نيوز» (Fake News)، أو شائعات شبكات التّواصل الاجتماعيّ، باعتبارها ظاهرة جديدة، تتفاقم يوماً بعد يوم، وأنشأت «سلطة الكذب»، بما تمتلكه من قدرة على المراوغة والزّيف والزّئبقيّة لتغيير اتّجاهات الرّأي العامّ، وتغير طبيعة تصوّر المواطنين لعلاقتهم بالمؤسّسات الدّيمقراطيّة وأنظمة الحكم.

ولقد اعتمد البحث فرضيّة مفادها أنّ «الفايك نيوز» تحاول قلب موازين القوى السّائدة في المجتمع، وتُقنع بما كذبت وأشاعت، وتستهدف الأشخاص والشّخصيّات العامّة، وبثّ الفوضى والنّزعة الطّائفيّة والفتنة، وتهديد استقرار البلدان وأمنها، ومراوغة المواطن والتلاعب بالدّيمقراطيّة.

ومن خلال التّحليل وملاحظة الحالة التّونسيّة، توصّل البحث إلى نتيجة رئيسيّة، وهي أنّ «الفايك نيوز» تهدف إلى أن تُسقط أنظمة حكم وتُصعّد أخرى، وتَصنع إيديولوجيا وتُطيح بأخرى، وتَصنع رمزيّات وتَمحو أخرى، وتَصنع رئيساً وتُطيح بآخر، ثمّ تتقاذف الرّأي العامّ المحلّيّ والدّوليّ كيفما شاءت، وهو الأمر الّذي يُلزم العالم والدّول العربيّة البحث عن حلول عاجلة لتفادي هذا الخطر الزّاحف بقوّة.

ولقد اعتمدنا لإنجاز هذه الدّراسة، من النّاحية المنهجيّة، تقنية تحليل الوثائق الإحصائيّة والوصفيّة، كما اعتمدنا تقنية دراسة الحالة، بما يجعلنا نحيط بالظّاهرة من مختلف جوانبها.

مقدمة:

كلّ شيء يتغيّر في مجتمع المعرفة والمعلومات، تحت وقع التّطوّر المذهل لتكنولوجيّات الاتّصال والمعلومات؛ فحتّى تسمية هذا المجتمع تتّجه نحو تغيّرات أخرى، منها: المجتمع الافتراضيّ، والمجتمع الرّقميّ، ومجتمع الشّبكات، ومجتمع الذّكاء...

وإلى جانب التّطوّر الرّقميّ، واكتساح الإنترنت لمختلف مجالات الحياة، **تتصدّر شبكات التّواصل الاجتماعيّ الإلكترونيّة موقع تغيير كلّ شيء في المجتمع**، بما تحمله من اختلافات وتناقضات وصراعات أيضاً. فحسب «دومينيك وولتون» في كتابه **(الإعلام ليس تواصلاً) «لا زيادة المعلومات الّتي تُبثّ، ولا سرعة انتقالها بمساواة، تؤدّيان إلى زيادة في التّواصل والتّفاهم البينيّ»**[1]، وهي مسألة تعقّد أشكال التّواصل على شبكة الإنترنت، وتحيل إلى صراعات إلكترونيّة بين الأفراد وبين المجتمعات والبلدان أيضاً. فـ «القرية الكونيّة، حقيقة تقانيّة، غير أنّها ليست اجتماعيّة ولا ثقافيّة ولا سياسيّة»[2].

كلّ السّلطات التّقليديّة تنحصر وتتقلّص، لتنشأ سلطات جديدة، تتحكّم فيها التّكنولوجيا والمواطن الجديد أو المواطن-الفرد الافتراضيّ. آخر ما كنّا نتصوّره جرّاء الإنترنت والشّبكات الاجتماعيّة، تغيير «سلطة الكذب» المعروف بحضوره الدّائم عبر التّاريخ، **وذلك باتّجاه أن يصبح للكذب قوّة ونفوذ محليان ودوليان، وقدرة على صناعة الرّأي العامّ والتّلاعب بالعقول، وعلى التّأثير والتّغيير والتّدمير. فهذه الشّبكات- المؤسّسات الاتّصاليّة الجماهيريّة المفتوحة متعدّدة الأطراف، تؤثّر كما تشاء**، ووفق ما يخطّطون لها في السّرّ والعلن، على **تَصوُّر المواطنين لعلاقتهم بالمؤسّسات الدّيمقراطيّة وأنظمة الحكم.**

لقد أصبحت الدّيمقراطيّة، ذاتها، ضحيّة الكذب الشّائع في الإنترنت والشّبكات. **فلم تَعُدِ الشّائعات تهتمّ بنشر ما يتعلّق بالأشخاص فقط، وبهتك معطياتهم الشّخصيّة وحرماتهم، بل تجاوزت ذلك، لتصل إلى العبث باستقرار الدّول، والمسّ من سياساتها العامّة وسيادتها، والعمل على إثارة الرّأي العامّ، والتّحريض على بثّ الفتن والفوضى...الكذب النّاشئ تتحكّم فيه البرمجيّات والتّطبيقات المعلوماتيّة الذّكيّة عبر منصّات إلكترونيّة رقميّة** ترتكز في أيّ نقطة من العالم.

والمعادَلة الصّعبة، **أنّ هذه العلاقة تنبني على أعمدة سلطة الكذب**. وتُسمّى هذه السّلطة النّاشئة في العالم الرّقميّ: **«الفايك نيوز» (Fake News)، أو شائعات شبكات التّواصل الاجتماعيّ. فأخطر الأخبار**

1. وولتون، دومينيك، الإعلام ليس تواصلاً، دار الفارابي، بيروت_لبنان، 2012م، ص19
2. المرجع نفسه، ص30

هو ما يقع ترويجه عبر شبكات التّواصل الاجتماعيّ بأسماء مستعارة وهُويّات مزيَّفة، على «الفيسبوك» و«تويتر» وغيرها.

فكيف تشتغل الأخبار الكاذبة ضمن المجتمعات الشّبكيّة المعاصرة؟ وما هي مخاطرها؟ وكيف يمكن التّصدّي لها؟

1. قوّة الشّبكات الاجتماعيّة وولادة الكذب المعاصر:

تَوَقَّع أساتذة علم الاجتماع أنّ استخدامات الإنترنت سيكون لها انعكاسات عديدة على الدّولة والمجتمع والإنسان. وما زاد الأمر تعقيداً ظهور خدمات «الواب 2.0» الّتي أفرزت خدمات شبكات التّواصل الاجتماعيّ المتطوّرة باستمرار. وقد تنبّه عالم الدّراسات المستقبليّة «ألفين توفلر» منذ سنة (1990م) إلى هذه التّحوّلات، فأصدر كتابه **(تَحوُّل السّلطة، المعرفة والثّروة والعنف على أعتاب القرن الحادي والعشرين)**[3] (Power Shift)، حيث أكّد فيه أنّ **جميع هياكل السّلطة على مستوى العالم تتفكّك نتيجة دخول المعلومة في مقوّمات القوّة إلى جانب العنف والثّروة**، الّذين يفرضان حضورهما عبر مختلف مراحل التّاريخ القديم والمعاصر، **ممّا غيّر من جوهر التّفاعل الاجتماعيّ المنتج للسّلطة** داخل كلّ مجتمعات العالم تقريباً. كما أكّد الباحث «ألفين توفلر» في كتابه سالف الذكر تغيير مفهوم الاقتصاد والحياة الاجتماعيّة وعلاقات السّلطة في المجتمع.

السّلطة، إذاً، انزاحت بفعل هذه التّحوّلات إلى «فنّ الكذب الإلكترونيّ» كمعطى اجتماعيّ واتّصاليّ جديد، يعتمده الفاعلون في الاقتصاد والسّياسة وغيرها، مادامت أدوات التّواصل والنّشر أفقيّة غير خاضعة لسلطة الحاكم العموديّة.

تتفكّك جميع هياكل السلطة التّقليديّة التي نعرفها، بدْءاً بسلطة الأب والعائلة، مروراً بسلطة المدرسة وسلطة الجامع والكنيسة وسلطة الجامعة، وسلطة مؤسّسات المجتمع المدنيّ، وسلطة مؤسّسات التّوزيع الإكراهيّ للقيم مثل القضاء والشّرطة والجيش، وانتهاءً بسلطة التّنظيم الدّوليّ والإقليميّ.

إنّ **جميع أنماط هذه السّلطة** التقليدية، **تتفكّك وتنهار تحت وقع المعلومات المتدفّقة عبر الإنترنت وتطبيقات المعلوماتيّة. لقد أضحت المعلومة من أبرز مقوّمات القوّة في المجتمع المعاصر، بعد أن كانت هذه القوّة تقتصر على العنف والثّروة الّتي تكون عادة بين أيدي أصحاب المؤسّسة الماليّة والمؤسّسة**

3. توفلر، ألفين، تحوّل السّلطة، المعرفة والثروة والعنف على أعتاب القرن الحادي والعشرين، ترجمة لبنى الرّيدي، مج. 1، 2، الألف كتاب الثّاني 181، 217، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة-مصر، 1996-1995م.

الدّينيّة والمؤسّسة الحاكمة. أمّا القوّة النّاشئة فهي بين أيدي مستخدمي تكنولوجيا المعلومات والاتّصال، وصنّاعها والمتحكّمين فيها، أفراداً كانوا أو جماعات أو مؤسّسات أو دولاً وكيانات. **وهذه القوّة، مجسَّمة في المعلومة، قد تكون نقيّة شفّافة صادقة، مثلما قد تكون باطلة مزيَّفة ومضلِّلة. وكلّ قوّة ناشئة، تنتج سلطة بديلة على أعقاب سلطة تقليديّة قديمة سائدة.**

أدّى هذا الحراك الاجتماعيّ الباطنيّ إلى تغييرات حادّة في مفهوم القوّة وأنماطها وعلاقات السّلطة في المجتمع، وأفضى إلى إنتاج أنماط جديدة لمصادر هذه السّلطة وطبيعة انتشارها، وتغييرات أخرى على المستوى الميكرو (Analysis Micro) بفعل تنامي استخدام شبكات التّواصل الاجتماعيّ الإلكترونيّة، ومن ثم **أفرز علاقة تفاعل «ديناميكيّة» متحوّلة وليست علاقة إنتاجيّة «ستاتيكيّة» ثابتة، غيّرت جوهر الإنسان.**

ولأنّ السّياسة، بما هي فنّ إدارة النّظام الاجتماعيّ، عادة ما تحكم السّلطات وتنظّمها وتوظّفها وتتحكّم فيها، فإنّها -اليوم أكثر من أيّ وقت مضى- **لم تَعُدْ مُستقلّة عن تأثيرات الظّواهر السّوسيو-ثقافيّة-اتّصاليّة.**

ذلك، **هو عالمنا الجديد، بسلطاته الوسائطيّة النّاشئة، بما يرافقها من غموض ومخاتلة وخداع.** فكلّ قرار سياسيّ، يَأخذ في حساباته آثاره الاجتماعيّة بشكل مباشر. كما أنّ مبدأ اتّخاذه يَخضع إلى عوامل مُختلفة، أهمّها اتّجاهات الرّأي العامّ، ومن يصنع هذا الرّأي العامّ.

والافتراضيّ، ممثَّلاً بتدوينات «فيسبوك» وتغريدات «تويتر» وغيرها من مواقع التّواصل، **لم يَعُدْ مُجرَّدَ فضاء للتّعبير عن الرّأي العامّ، بل صار الفاعل والصّانع لهذا الرّأي العامّ نفسه.** ولذلك، لا غَرابة أنْ نسمع -اليوم- بعض الاتّجاهات الجديدة في السّياسة تَقول: **إنّ أهمّ السّياسات الدّوليّة تُصْنَعُ بالنّظر إلى ما يَتمّ تَناوُله في الافتراضيّ، وإنّها تَتفاعل مع شُخوص الافتراضيّ حتّى قبل تَوجُّهِهَا إلى الشُّخوص الطّبيعيّة.**

فأيّ افتراضيّ يصلنا ونستهلكه دون أن نفكّر فيه وفيمن أنشأه وسرّبه؟

إنّ هذا التّحوّل من اختزال السّياسيّ في برامج الأحزاب وإنجازاتها، إلى جعله مَفتوحاً على كلّ المؤثّرات في الرّأي العامّ، جعل من **الافتراضيّ، بقيادة شبكات التّواصل الاجتماعيّ، يَحتلّ مَوْقِع المركز في السّياسيّ، أو يَصير هو قلب السّياسيّ نفسه، ومصدر إنتاج السّلطة في المجتمع،** بما يروّجه من معلومات وأخبار وشائعات وإشاعات، **لعلّ أخطرها سلطة الكذب** في عالم مفتوح مشبَّك ببعضه البعض تشبيك العنكبوت، الّذي **يجعل البيت المجتمعيّ يتهاوى كما يتهاوى بيت العنكبوت.**

حينها، **ماذا يتبقّى للمواطنين، في مجتمع الشّبكات الاجتماعيّة المخاتلة، من تَصوُّر لطبيعة علاقتهم بالمؤسّسات الدّيمقراطيّة وأنظمة الحكم** «عندما يغيب التّفاهم، وعندما تظهر الاختلافات للعيان بوساطة تقانة ترتقي باستمرار»[4]؟

انتهت الحكومات البرلمانيّة الطّبيعيّة. وانتهى النّاخب الفيزيائيّ المستقلّ. وانتهى الخطاب الدّعائيّ والدّعوي الانتخابيّ. وانتهى القائد والزّعيم السّياسيّ بـ «كاريزماته» الخطابيّة المُذهلة. وانتهت الشّعارات الوطنيّة الكبرى. وانتهى، مع كلّ ذلك، السّلوك السّياسيّ التّقليديّ.

لقد حلّ السّياسيّ الجديد المُلَوَّن بالافتراضيّ، أو أُعيد تَشكيله. ومعه، **وصلت الدّيمقراطيّة التّشاركيّة السّيبرانيّة**، كبديل عن الدّيمقراطيّة المباشرة والدّيمقراطيّة التّمثيليّة. ديمقراطيّة، تفتح المجال لكلّ المواطنين وكلّ العابرين للمشاركة فيها، حتّى إن كانوا مجهولي الهويّة. هؤلاء الأفراد والجماعات، يستمدّون قوّتهم من سرعة انتشار الإنترنت، وكثافة استخدام شبكات التّواصل الاجتماعيّ، **ويصنعون سلطة قويّة توازي قوّة الميديا الّتي تحملها وتروّجها كلهيب النّار. وبعض أوجه هذه السّلطة زيف**، هدفه ضرب الخصم السّياسيّ أو الاقتصاديّ، وتخريب المجتمع المحلّيّ، وتدمير الدّولة... وفي سياق سلطة الكذب والشّائعات النّاشئة، الّتي نتناولها في بحثنا هذا، تفيد آخر الأرقام أنّ **موقع «فيسبوك» أغلق خلال السّتّة أشهر المتراوحة بين تشرين الأول/أكتوبر (2018م) ونيسان/أبريل (2019م) أكثر من ثلاثة مليون موقع فيسبوك مُزيَّف.**[5]

نحن نعيش الافتراضيّ في أقوى تجلّياته في مختلف المجالات. **ونعيش مفهوماً جديداً للسّلطة: سلطة القوّة الصّادقة، وسلطة القوّة الكاذبة ممثّلة في «الفايك نيوز»**، الّتي تقتحمنا دون إذننا أو تفكير منّا، عبر البريد الإلكترونيّ، ومواقع التواصل الاجتماعي، وتعدّديّ الوسائط (الملتيميديا) والصّور والفيديوهات والتّدوينات والتّغريدات العابرة للقارّات والحدود الجغرافيّة. **وبقدر استهلاكنا للأخبار والمعلومات، نستهلك الزّيف والكذب، وننتج أفراداً يصدّقون الكذب وينبهرون بالكذّابين لما تمنحه إيّاهم شبكة الإنترنت من هالة وقُدسيّة.**

«تجدر الملاحظة في هذا السّياق أنّ قلّة من مستخدمي ثقافة التّواصل الرّقميّ تدرك أو تفكّر بالعقل الّذي يحكمها، وما تتضمّنه من قيم، وما تصحبه من سلوك وأنماط حياة ومفاهيم أو معانٍ جديدة لمفاهيم قديمة، بل إنّ **أكثر ما يقلق في هذا الواقع الجديد هو استخدام هذه التّقانة من دون اعتبار للمسؤوليّة الخلقيّة المترتّبة**

4. وولتون، دومينيك، المرجع سابق الذكر، ص21

5. التقرير الشّهريّ لموقع فيسبوك، أيار/مايو 2019م.

عنها، أو الشّروط الضّروريّة لتواصل عقلانيّ منتج للمعرفة الخلقيّة. ومن دون النّظر أيضاً في الإمكانات التّواصليّة الهائلة الّتي توفّرها من أجل خير البشريّة، إذا ما أحسن استخدامها»[6].

وفي سياق الكمّ المعلوماتيّ المتدفّق من كلّ أصقاع الأرض، بما يحمله من معرفة وقيم، وبمصادره المجهولة في عديد الأحيان، نقدّم **معطيات إحصائيّة تكشف الواقع الافتراضيّ اليوم وغداً، بما يحمله من آثار وتفاعلات وانتظارات وحقائق وكذب وزيف وإشاعات نصّيّة وسمعيّة ومصوَّرة وسمعيّة بصريّة وتفاعليّة تنتشر عبر الشّبكات بشكل كبير**.

بلغ عدد مستخدمي الإنترنت في العالم (4.346.561.853) مليار مستخدم إلى موفّى آذار/مارس (2019م)[7]؛ أيْ قرابة (53%) **من مجموع سكّان الأرض** (سكّان الأرض في 2019م بلغوا 7.67 مليار، حسب غوغل Google).

وإذا تأمّلنا توزيع هؤلاء المستخدمين حسب المناطق، نجد أنّ آسيا في المقدّمة بنسبة (50.4%)، تليها أوروبا بـ (16.5%)، وأفريقيا بـ (10.9%)، وأمريكا اللّاتينيّة والكرايبي بـ (10.1%)، وأمريكا الشّماليّة بـ (7.5%)، والشّرق الأوسط بـ (3.9%)، ثمّ أستراليا وآسيا بـ(0.7%)[8].

وإلى مطلع سنة (2019م)، **بلغ عدد المستخدمين النّشطين لشبكات التّواصل الاجتماعيّ شهريّاً:** (2.2) مليار على «فيسبوك» (65 بالمئة منهم يفتحون صفحاتهم يوميّاً)، و(1.5) مليار على «يوتيوب»، و(1.3) مليار على «واتساب»، و(1.3) مليار على «ميسنجر»، و(980) مليون على «وي شات»، و(843) مليون على «كيو كيو»، و(800) مليون على «إنستاغرام»، و(794) مليون على «تَمبلر»، و(610) مليون على «لينكدإن»، و(568) مليون على «كيو زن»، و(440) مليون على «غوغل»، و(376) مليون على «سينا ويبو»، و(326) مليون على «تويتر»، و(110) مليون على «بينتريست» (Pinterest)[9].

وفي سياق تقاسم المعلومات بين الأفراد الافتراضيّين وصناعة الرّأي العامّ، يتمّ كلّ دقيقة: زيادة (456) متّصل جديد بالإنترنت، وإجراء (110) آلاف اتّصال عبر «سكايب»، وتنزيل (580.312)

6. حسين ملكاوي، أسماء، أخلاقيّات التّواصل في العصر الرّقميّ هبرماس أنموذجاً، المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السّياسات، بيروت-لبنان، تشرين الأوّل/ أكتوبر 2017م، ص26

7. Internet World Stats – Usage and Population Statistics, https://www.internetworldstats.com/ , Date de la visite du site: 02 Avril 2019

8. Internet World Stats – Usage and Population Statistics, https://www.internetworldstats.com/ , Date de la visite du site: 02 Avril 2019

9. Internet World Stats – Usage and Population Statistics, https://www.internetworldstats.com/ , Date de la visite du site: 02 Avril 2019

تغريدة على «تويتر»، وإضافة (300) ألف مشاركة (Partage) على «فيسبوك»، ووضع زرّ الإعجاب (j'aime/ like) على (216) مليون صورة تنشر عبر «فيسبوك» وعلى (2.4) مليون صورة تنشر عبر «إنستاغرام»، ونشر (345.932) صحيفة، ونشر (4) كتب، وبيع (3692) هاتف جوّال.

ويُختصر حجم البيانات الّتي تُنتَج عبر الإنترنت في الدّقيقة الواحدة كما يلي: رفع أو تحميل (400) (Téléchargement) ساعة فيديو على «يوتيوب»، وتحميل (830) ألف ملفّ على «دروبوكس»، وإرسال (204) مليون رسالة إلكترونيّة، وترجمة محرّك البحث «غوغل» لـ(70) مليون كلمة، وإنتاج (216) ألف صورة أو مقطع فيديو على «إنستاغرام»، ومشاركة (347.222) صورة على «واتس آب». ويتمّ كلّ يوم كتابة (2) مليون تدوينة، وهو ما يكفي لملئ مجلّة «تايم» (770) (TIME) سنة كاملة. كما يتمّ، يوميّاً، قضاء (4.7) مليار دقيقة على فيسبوك، وإرسال (294) مليار بريد إلكترونيّ، وتنزيل 35 مليون تطبيق.[10]

وفيما يتعلّق بالمعطيات الإحصائيّة للجماعات المعادية للمواطَنة والمدنيّة، ارتفع عدد المَواقع الإلكترونيّة للجماعات المُتطرّفة عبر الإنترنت من (12) مَوقعاً سنة (1997م) إلى (150) ألف مَوْقِع سنة (2015م).[11]

ويُراهن تنظيم «دَاعِش» الإرهابيّ، مثلاً، على وسائط الاتّصال، لاستقطاب الشّباب، والتّأثير **فيهم بأطروحاته المتطرّفة وأكاذيبه المتطوّرة تقنيّاً،** وتَجنيدهم للقتال في بؤر التّوتّر في العالم. ويُدير هذا التّنظيم، ضمن الفضاء الافتراضيّ الدّيمقراطيّ التّشاركيّ السيبراني، سَبعة أَذْرُعٍ إعلاميّة، ومَوْقِع، و(90) ألف صفحة على شبكات التّواصل الاجتماعيّ، خاصّة «فيسبوك» و«تويتر». ورَصَدَ تنظيم «داعش» من ميزانيّته (3) مليار دولار لتمويل القنوات السّبع والإذاعات والمَواقع الإلكترونيّة والصّفحات والمَجلّات الّتي تُروِّج لفكر التّنظيم في جميع دول العالم بأكثر من (12) لغة[12]، وتستهدف النّاشطين الإلكترونيّين في فضاء عامّ افتراضيّ مفتوح يصعب الإمساك به مهما تطوّرت آليّات الرّقابة.

---

10. الموقع الإلكترونيّ Blog du modérateur, Le média des professionnels du digital، Chiffres Internet–2017، Thomas Coëffé, le 29 décembre 2016 http://www.blogdumoderateur.com/chiffres-internet/، تاريخ زيارة الموقع 24 نيسان/أبريل 2017م، ص1

11. عماد، محمّد، «الإفتاء المصريّة: 80% من «داعش» تمّ تجنيدهم عبر وسائل التّواصل الاجتماعيّ»، خبر.نات، نشر بتاريخ 30 تموز/يوليو 2015م على السّاعة 06: 01، تاريخ الزّيارة 30 تموز/يوليو 2015م.
http://www.khabaar.net/index.php/permalink/49864.html

12. "7 قنوات و90 ألف صفحة فيسبوك أذرُع داعش الإعلاميّة»، نُشر في 12 آذار/مارس 2015م، موقع «جمهوريّة» http://gl.goo/cpngg8، المصدر: صفد، تاريخ الزّيارة 12 آذار/مارس 2015م.

إنّ الثّابت في عمليّات الاستقطاب المختلفة الّتي أشرنا إليها، **استخدام تقنيّات صناعة التّأثير والإغراء، للتّحكّم بالعواطف الدّينيّة الجيّاشة لدى المتعاطفين وتوجيهها**. ومن أبرز «التّقنيّات» الاتّصاليّة في عمليّات الاستقطاب هذه، **تحريف وتشويه و«تطويع» المعلومة، وحتّى اختلاقها** إذا لزم الأمر، وهو تطويع، كما نعلم، مارسته الجماعات المتشدّدة، ولم تسلم منه حتّى «آيات النّصّ الكريم»، ولم يتوقّف عن تطويع أيّ خبر أو حدث تاريخيّ لخدمة هدف «الدّمغجة» و«التّلاعب بالعقول». وفي المجتمعات الاتّصاليّة المفتوحة، لم يعد «تطويع» المعلومة حكراً على الجماعات الدّينيّة، بل صار لعبة القوى الاجتماعيّة برمّتها، بما فيها تلك الأكثر حداثيّة وتقدّميّة.

إنّ **الفايك نيوز** (الأخبار الكاذبة) **صارت مسألة أفقيّة، أو حتّى ميكروسوسيولوجيّة، تتخلّل علاقات الأفراد ببعضهم البعض، في كلّ علاقة سلطة ممكنة، لأنّها ببساطة تقنية عالية النّجاعة في حروب المصالح.**

وقبل أن نتعمّق في تحليل المسألة من جوانبها المختلفة بأمثلة معبّرة، نقدّم مثالاً «للفايك نيوز» يهمّ البلاد التّونسيّة خلال الأشهر الّتي تسبق الانتخابات التّشريعيّة المقرّرة لشهر تشرين الأول/أكتوبر (2019م).

فقد نشرت صفحة تحمل اسم «أصدقاء نبيل القروي» سبر آراء تحت عنوان «شركة فرنسيّة تضع القروي وحزب القروي في الصّدارة». الصّفحة تمّ إغلاقها من طرف «فيسبوك» بعد التّبليغ من الشّركة الأصليّ (Visactu) الّتي أصدرت بلاغاً في (31) أيار/مايو (2019م) على «فيسبوك» عبّرت فيه عن استيائها من استعمال اسمها في سبر آراء مزيّف.[13]

والخطير في هذا الأمر، أنّنا لا ندري بالضّبط من لجأ إلى الزّيف في مثل هذه الحالة وغيرها؛ صاحب الشّأن المستفيد نظريّاً، أو خصومه السّياسيون الّذين قد يكونون اختلقوا الصّفحة المساندة وروّجوا فيها ما يورّط من تحمل اسمه.

إنّ **الكذب في الإنترنت يزداد تعقيداً يوماً بعد يوم، ويجعل علاقة الفرد بأنظمة الحكم وبالدّيمقراطيّة محلّ شكّ وتشكيك دائم. الكلّ يشكّك في الكلّ، والكلّ يكذّب الكلّ.**

13. Visactu, 31 mai 2019, 11: 57, https://bit.ly/2W6mhxg. “Depuis quelques heures, une page facebook utilise notre logo et notre marque et publie de fausses informations sur les élections à venir en Tunisie. Elle a publié un faux sondage sur les élections législatives tunisiennes et détourné notre marque et notre logo. Nous avons signalé la page à facebook et demandé sa suspension. Malheureusement, ce faux sondage a d’ores et déjà été largement relayé sur les réseaux sociaux, mais il a également été cité par des candidats et des médias. Nous appelons les candidats, les médias et les électeurs tunisiens à la plus grande vigilance et à ne pas relayer de fausses informations”.

تزداد أهمّيّة «الفايك نيوز» في الدّول الدّيمقراطيّة، الّتي يحسم فيها المواطنون مصير السّلطة، والكثير من القرارات، عبر صناديق الاقتراع. وهناك ثلاث محطّات رئيسيّة، خلال السنوات الأخيرة، حظيت فيها «**الفايك نيوز**» بأهمّيّة بالغة، وهي الانتخابات الرّئاسيّة الأمريكيّة الّتي أوصلت «**دونالد ترامب**» إلى رئاسة البلاد، ثمّ «**البريكسيت**» في بريطانيا، واستفتاء تقرير المصير في «**كاتالونيا**»، حيث جرى اتّهام روسيا بنشر أخبار في شبكات التّواصل الاجتماعيّ للتّأثير على الرّأي العامّ. والأمثلة ستتواصل، وقد يكون من بينها الانتخابات الرّئاسيّة والتّشريعيّة في تونس خلال شهري أيلول/سبتمبر وتشرين الأول/أكتوبر 2019م، والّتي لم تتّضح بعد بشكل كامل.

2. الكذب السّيبرانيّ و«الفايك نيوز»:

وصف كبار المعرفة والعلم، الكذب، بأنّه سلطة تُنهي معنى الحياة، وتنفي صفة الصّدق عن الإنسان المدنيّ بطبعه، إذ يقول الفيلسوف «أرسطو» إنّ «الموت مع الصّدق خير من الحياة مع الكذب». وهكذا، فالحياة عنده، تنتهي إذا سطا الكذب على المجتمع، وصار الفاعل الأساسيّ. ووصف «أرسطو» من يتعمّد الكذب على النّحو الآتي: «الكذّاب ليس فقط هو الّذي يملك القدرة على الكذب، بل هو الّذي يميل إلى الكذب».[14]

أمّا الفيلسوف «نتشه»، من جهته، **فهو يخشى اغتيال التّفاعل بين الأفراد في المجتمع إذا كان الكذب أساس التّعاملات بينهم**، ويختصرها بقوله: «**لست منزعجاً لأنّك كذبت عليّ، لكنّني منزعج لأنّني لن أصدّقك بعد هذه المرّة**».

بينما يقول «**جان جاك روسو**» عن الكذب ما يثير السّؤال عن أغراض ذلك: «أن تكذب لصالح نفسك، فهذا مستحيل، وأن تكذب لصالح الغير، فهذا تدليس، **وأن تكذب بقصد إلحاق الأذى بالغير، فهذا افتراء، وهذا هو أسوأ أصناف الكذب**، وأن تكذب دون قصد جلب مصلحة أو إلحاق الأذى بك أو بغيرك، فأنت لا تعتبر كاذباً، وما تقول ليس بكذب بل مجرَّد تخيُّل».

وينتهي الفلاسفة إلى أنّ الكذب إخلال بالوعد الّذي أعطاه الكاذب ضمنيّاً للآخرين بقول الحقيقة لهم، ولكنّه يخدعهم بسبق إضمار.

14. دريدا، جاك، تاريخ الكذب، ترجمة وتقديم رشيد بازي، المركز الثّقافيّ العربيّ. وكتاب «تاريخ الكذب» لجاك دريدا هو في الأصل محاضرة ألقاها الفيلسوف الفرنسي في «المعهد الدّوليّ للفلسفة» في باريس عام 1997م. ولا تعدو المحاضرة كونها صياغة مختصرة لبحوث ألقاها في مدرسة الدّراسات العليا للعلوم الاجتماعيّة في باريس خلال الموسم الجامعي 1995-1994م، بعنوان «مسائل المسؤوليّة»، إضافة إلى دراسة وافية كرّسها الفيلسوف لمفهوم الكذب.

وتُعد السّياسة، تاريخيّاً، مجالاً خصباً للكذب على الآخرين. ويزخر التّاريخ السّياسيّ بالكذب في مختلف الحضارات والبلدان. وقد بات اللّجوء إلى الكذب إحدى الوسائل الضّروريّة والمشروعة لدى السّياسيّين، من خلال اعتماده باستمرار في ممارساتهم السّياسيّة اليوميّة عن معرفة ووعي ونيّة مُبيَّتة في تقديم ما هو مُناف للحقيقة. **فهل الإنسان المعاصر المعوْلَم والشّموليّ غارق في رذيلة الكذب**، ويتنفّس تلوّث الكذب، ويخضع لسلطة الكذب طوال حياته، بما قد يجعله إنساناً مهدَّداً في علاقته بالآخر الإنسان والفرد-المواطن؟

إنّ مستقبل أجيالنا، الّتي تعيش وتتنفّس إلكترونيّاً داخل شبكات التّواصل الاجتماعيّ، بات مهدّداً بشكل كبير؛ لأنّ سلطات الكذب التّقليديّ والمستحدَث تحاصره من كلّ الزّوايا السّياسيّة والاقتصاديّة والثّقافيّة؛ **ولأنّ ثوابته مهزوزة وثقافته محدودة، وغير قادرة على مواجَهة حجم المحتوى المعرفيّ الّذي يُبثّ عبر الشّبكات**، من خلال النّصوص والصّور والفيديوهات المتدفّقة كالسّيول من كلّ حدب وصوب، بلا جنسيّة ولا هويّة مُعرَّفة، ولا جواز سفر يحتاج تأشيرة لعبور الحدود الجغرافيّة والفكريّة. **بعض المحتوى حقيقة، وبعضه زيف، تصنعه التّكنولوجيا، وتروّجه الشّبكات، ويستهلكه الفرد بوعي ولا وعي أيضاً.**

إنّ هذا العالم المجتمعيّ يحكمه الحكّام الجدد للعالم وللرّأي العامّ. ويختصر البعض تسميّته بـ«**غافام**» (GAFAM). **وتعني، اختصاراً، أسماء شركات «الويب» الأمريكيّة العالميّة الخمس، المسيطرة على عالم شبكات التّواصل الاجتماعيّ وعالم الاقتصاد والمال، وإنْ لم نقل عالم السّياسة أيضاً. وهي «غوغل» و«آبل» و«فيسبوك» و«أمازون» و«مايكروسوفت»**[15]. وتأسَّست جميعها في الرّبع الأخير من القرن العشرين، وتطوّرت وازدهرت في العقدين الأوّلين من القرن الحادي والعشرين، **ويُطلق عليها تسمية «الخمسة الكبار»** (The Big Five). والمعلوم أنّ «غوغل» تمتلك شركة «يوتيوب»، وأنّ «فيسبوك» تمتلك شركتي «واتساب» و«إنستغرام»، وأنّ «مايكروسوفت» تمتلك شركة «سكايب».

ولأنّ مسألة شبكات التّواصل الاجتماعيّ صارت على غاية الخطورة الفكريّة والماليّة والسّياسيّة و«الهويّاتيّة» والسّياديّة، فقد لقّبت صحيفة «ليبراسيون» الفرنسيّة هؤلاء «الخمسة الكبار» بـ«**نقابة الجريمة الرّقميّة المنظَّمة**»[16].

الصّحيفة الفرنسيّة، **عدّتهم يشكّلون خطراً كبيراً على الدّيمقراطيّة وعلى الحرّيّات الفرديّة في العالم، نظراً لنشرهم أخباراً ملفّقة، وبثّهم شائعات مُغرضة، متى شاءوا وفي أيّ بلد من بلدان العالم وبلغة أهل**

15. LES GAFAM, www.youtube.com/watch?v=QSnXDdJvbNE, Date de la visite 5 octobre 2019

16. الحكام الجدد... والعبيد الجدد، www.ezinearticlesarab.com/الحكّام-الجدد، تمت زيارة الموقع بتاريخ 11 نيسان/أبريل 2019م.

البلد، عبر صفحات يتمّ إنشاؤها خصّيصاً بأسماء مجهولة، وأحياناً بأسماء شخصيّات معروفة، للقيام بمهمّتهم الإلكترونيّة ثمّ الاختفاء.

مجلّة «جون أفريك» (أو أفريقيا الشّابّة)[17]، الصّادرة بفرنسا أيضاً، كتبت مقالاً مشابهاً، يؤكّد **خطر هذه المجموعة الشّبكيّة الاتّصاليّة العالميّة على جميع المستخدمين لها** من مختلف بلدان العالم، بعد أنْ باتت تستحوذ على بياناتهم الشّخصيّة وهواياتهم ورغباتهم وأذواقهم ووجدانيّاتهم وميولهم وسلوكيّاتهم في كلّ ما يتعلّق بحياتهم العامّة والخاصّة.

وطبعاً، **تستخدم هذه المجموعة الشّبكيّة خصوصيّات الأفراد مستخدمي الإنترنت، لقراءة طبيعة المعلومات الزّائفة الّتي توجّهها لهم البرمجيّات والتّطبيقات المعلوماتيّة الذّكيّة، ويمكن أن تتقبّلها فكريّاً شخصيّاتهم.** والأخطر في كلّ هذا، **ما يصنعه الحكّام الجُدُد للمعلوماتيّة بالناس، إذ تحوّلهم إلى «عبيد جُدُد» تتصرّف فيهم كما تشاء عبر** اختياراتها الفكريّة والسّياسيّة والثّقافيّة والاجتماعيّة والماليّة.

كما توقّفت مجلّة «جون أفريك» عند التّهرّب الضّريبيّ الّذي تستفيد منه **هذه الشّركات الضّخمة** في مناطق العالم كافّة، ولاسيّما بعدما باتت **تشكّل كتلة ماليّة ضخمة جدّاً تُقدَّر بحوالي (4) آلاف مليار دولار أمريكيّ كقيمة سهميّة في البورصة.** وتمنحها هذه القوّة الماليّة **قوّة معلوماتيّة وجماهيريّة وتأثيريّة واسعة الانتشار بمحتويات تصنعها كما تشاء**، وتروّجها بنفاذ رهيب.

وعلى نقيض البلدان العربيّة، استوعب الكيان الإسرائيليّ هذه المتغيّرات الاتّصاليّة، وكان من المبادرين إلى الاستفادة ممّا تتيحه شبكات التّواصل الاجتماعيّ من مزايا، يمكنه توظيفها في حربه ضدّ عدوّه الدّائم المجتمعات العربيّة والدّول العربيّة. وانطلق باكراً في لعبة حرب تجميع المعلومات الكبرى (Big Data) **في الفضاء السّيبرانيّ المُعَوْلَم المفتوح**. وكان ذلك باستقطاب الشّركات النّاشئة (Startups) المتخصّصة في تكنولوجيا المعلومات والبرمجيّات المتطوّرة، ومنها خاصّة برامج التّجسُّس الإلكترونيّة (البرنامج التّجسّسيّ Pegasus مثلاً).

وتمكّنت هذه الشّركات الإسرائيليّة العلنيّة، أو الخفيّة الاسم، من بيع منتجاتها الرّقميّة بأعلى الأسعار إلى الأنظمة العالميّة لمحاربة الإرهاب، وإلى الأنظمة الدّكتاتوريّة لتَعقُّب المعارضين عبر شبكات التّواصل الاجتماعيّ والتّخلّص منهم. فوصلت كلفة التّجسُّس على الضّحيّة الواحدة (25) ألف دولار أمريكيّ.

17. مجلّة «جون أفريك»، تصدر في باريس عاصمة فرنسا، وهي ناطقة باللّغة الفرنسيّة، وتُعنى بالشّأن الأفريقيّ.

وقد شكّل الكيان الإسرائيليّ فريقاً من مجنّديه المتفوّقين في تطوير الأسلحة الرّقميّة وبرمجيّات القرصنة الإلكترونيّة، ووظّفهم في جمع المعلومات الحسّاسة من شبكات التّواصل الاجتماعيّ العربيّة وتحليلها والاستفادة من نتائجها، وهم يشتغلون في وحدة المخابرات «8200» المختصّة.[18]

إنّ التّموقع الإيجابيّ ضمن شبكات التّواصل الاجتماعيّ وصناعة المحتوى (الملتيميديا) وإنتاج المعرفة وامتلاكها، يجعلك تحكم العالم كفاعل جديد. أمّا الاكتفاء بدور استهلاك المعرفة المبثوث عبر الشّبكات، فيجعلك تكتفي وتَقْنَع بدور العبيد الجُدد.

3. لعبة الدّول الكبرى وضحايا «الفايك نيوز»:

استطاعت الآلة الدّعائيّة، الّتي أجادت توظيف الإنترنت والفضائيّات التّلفزيونيّة، خلق قوّة ضغط غير مسبوقة، قلبت موازين القوى السّائدة منذ عشرات السّنين، **وجعلت من ثقافة الأقلّيّة السّوداء المَقْصِيَّة سابقاً ثقافة مُهيمِنة مُتحكِّمة في البيت الأبيض**، وتَعِدُ بـمُقاربات سياسيّة وإيديولوجيّة جديدة. ولقد **ساهمت الآلة الدّعائيّة الرّقميّة**، قبل ذلك، **في صعود رئيس غير فرنسيّ ليحكم فرنسا.**

إنّها سلطة وسطوة الرّقميّ الّذي يَصنع إيديولوجيا ويُطيح بأخرى، ويَصنع رمزيّات ويَمحو أخرى. والرّقميّ في السّياسة كذلك، يَصنع رئيساً، ويُطيح بآخر. وهكذا تُمثّل التّكنولوجيا الرّقميّة –اليوم- **فضاءً جديداً للعمل السّياسيّ**، إذْ تُتيح المشاركة اليوميّة المباشرة في الحياة السّياسيّة والاجتماعيّة.

وفي كتابه **(كيف يتمّ السّيطرة على العالم؟)**، يبرز عقيد الجيش الإسبانيّ «**بيدرو بانيوس**» دور «**الفايك نيوز**» وبعض وسائل الإعلام المتصارعة، ويصفها بأسلحة الدّمار الشّامل الإعلاميّة الّتي تلعب دوراً في تغيير وجهات الرّأي العامّ بما في ذلك التّصويت، أو تهدف إلى إعداد الرّأي العامّ لحدث كبير مثل الحروب أو الانقلابات[19].

تتّجه الأنظار كلّ أربع سنوات نحو الولايات المتّحدة الأمريكيّة، وتحديداً نحو السّباق الرّئاسيّ في الانتخابات الّتي تحدّد رئيس أعظم دولة في العالم، وأكثرها هيمنة، لما لها من علاقة وتدخّل مباشر أو غير مباشر في تحديد مصائر الشّعوب، ولاسيما منها بلدان العالم الثّالث. وقد أتاحت علاقة التّقاطع

18 الحكام الجدد... والعبيد الجدد، www.albiladpress.com/news/2018/3729/columns/543561.html، تمّت زيارة الموقع بتاريخ 11نيسان/أبريل 2019م.

19. بسبب أهمّيّة الانتخابات المقبلة. الاستخبارات الإسبانيّة تصدر كتاباً لمحاربة الأخبار المضلّلة، www.alquds.co.uk/ بسبب-أهمية...، تمّت زيارة الموقع بتاريخ 23 نيسان/أبريل 2019م.

بين السّياسيّ والرّقميّ **تدخّلاً روسيّاً مفاجئاً في الانتخابات الأمريكيّة** لسنة (2016م)، مازالت تداعيّاته تتراوح بين الإعلام والسّياسة والقضاء.

أثارت الانتخابات الأمريكيّة ضجّة إعلاميّة كبيرة بسبب **معلومات أفادت بتدخّل روسيا في تغيير نتائج الانتخابات**، الّتي صبّت في صالح «دونالد ترامب»، أمام منافسته الدّيمقراطيّة «هيلاري كلينتون». وانتقلت هذه المعلومات من حيّز الافتراضيّ إلى المحاكم، لتصبح حقيقة مثبتة قضائيّاً من خلال لائحة اتّهام رسميّة، قدّمتها هيئة محلّفين كبرى في العاصمة «واشنطن»، وشملت اثني عشر ضابطاً من المخابرات الرّوسيّة بتهمة التّدخّل في الانتخابات الرّئاسيّة لصالح أحد المرشّحين سنة (2016م).

وظّفت روسيا الإمكانيّات التّكنولوجيّة المتطوّرة في تدخّلها لتغيير مجريات الانتخابات الرّئاسيّة، من خلال قرصنة البيانات، ثمّ نشرها وإدارة عمليّة التّلاعب بتوجّهات الرّأي العامّ للنّاخبين، ممّا شكّل صدمة للأمريكيّين والكثيرين حول العالم.

فعلى غير ما جرت به العادة، عندما كانت الولايات المتّحدة الأمريكيّة من يمتلك الامتياز والإمكانيّات للتّدخّل في انتخابات دول العالم الثّالث، أصبحت هي أيضاً مستهدَفة وفريسة سهلة لخصومها بفعل الإنترنت، فظهرت هشاشتها أمام اعتداء إلكترونيّ أثّر في انتخاباتها الرّئاسيّة[20]. لقد تمكّنت روسيا من التّدخّل في الانتخابات الأمريكيّة، والتّأثير على نتائجها، وإثبات أنّ الولايات المتّحدة الأمريكيّة غير محصَّنة ضدّ الاختراق عالي المستوى، الّذي تمّ ضدّ واحدة من أهمّ عناصر سيادتها القوميّة، من خلال استخدام آليّات تكنولوجيا المعلومات.

وقد عقد الرّئيس الأمريكيّ المنتخب «دونالد ترامب» مؤتمراً صحفيّاً[21] بتاريخ (11) كانون الثّاني/يناير (2017م) دافع فيه عن نفسه ضدّ الحملات الّتي تعرّض لها من خصومه السّياسيّين، مقرّاً بالتّدخّل الرّوسيّ في العمليّة الانتخابيّة، ومشيراً إلى تدخّل عديد الدّول الأخرى.

وهكذا، فإنّ العالم، اليوم، يواجه بسبب التّكنولوجيا، تغيّرات كبيرة، وتحديداً تغيّرات جيوسياسيّة جديدة، تشمل كلّ ما هو سياسيّ وعسكريّ واقتصاديّ ومعرفيّ.

20. الجمّوسي، جوهر، وبن إسحاق، إشراق، شبكات التّواصل الاجتماعيّ تحوّلات في المجتمع والسّياسة والإرهاب، المعهد التّونسيّ للدّراسات الاستراتيجيّة، تونس، تشرين الأوّل/ أكتوبر 2019م، ص42

21. جودة، مصطفى، «تداعيات الانتخابات الأمريكيّة»، جريدة الأهرام المسائي، بتاريخ: 16 كانون الثاني/يناير 2017م، massai.ahram.org.eg/.../

ومن أبرز عناوين الصّراع الدّوليّ الشّعار الغربيّ الآتي: «الحرب الغربيّة ضدّ تكنولوجيا الصّين وروسيا»، والّتي تأخذ رمزيّتها في شركة الاتّصالات «**هواوي**» والمنبر الإعلاميّ الرّقميّ «**سبوتنيك**»، **وتخفي خلفها صراع افتكاك مواقع حول من يكتسح مجتمعات العالم بالمحتويات والمضامين** وما تحمله من رسائل وأبعاد ورمزيّات. **وهي محتويات قد تكون نسبة هامّة منها كاذبة/«فايك نيوز» (Fake News)، تغيّر مصير المجتمعات والبلدان وليس فقط الأشخاص.**

وقد شنّ الرّئيس الأمريكيّ «دونالد ترامب»، خلال ربيع (2019م)، هجوماً قويّاً على شركة «**هواوي الصّينيّة للاتّصالات**»، واتّهمها بسرقة التّقنية من الغرب والتّجسّس على الدّول الغربيّة، من خلال برامج في هواتفها الّتي تكاد تصبح الأكثر مبيعاً في العالم، وكذلك من خلال تشييد البنيات التّحتيّة للاتّصالات ومنها الجيل الخامس.

أمّا التّهمة الموجَّهة إلى «سبوتنيك» الرّوسيّة فهي «البروباغندا» ومحاولة التّأثير على الرّأي العامّ الغربيّ، ولاسيما خلال الانتخابات الرّئاسيّة والتّشريعيّة، من خلال التّركيز على الأحداث السّياسيّة والاجتماعيّة والثّقافيّة لإحداث التّغيير المطلوب. وكأمثلة لتأكيد ذلك، فقد خصّصت «سبوتنيك» و«روسيا اليوم» مجالاً كبيراً لظاهرة «**السّترات الصّفراء**» في فرنسا، فهي تُعدُّ من منابرهم الرّئيسة في مخاطبة الرّأي العامّ الفرنسيّ. وبهذا، نجحت «سبوتنيك»، في نسختها الفرنسيّة، في استقطاب قرّاء أكثر من منابر إعلاميّة تاريخيّة مثل «ليبراسيون» و«نوفيل أوبسيرفاتور». كما تفوّقت على «بي بي سي» و«سي آن آن» كمصادر الخبر الأجنبيّة في فرنسا[22].

والأخطر من كلّ هذا أنّ المحتوى الإرهابيّ على الإنترنت، ارتفع خلال السّنوات الأخيرة، ليشكّل خطورة على المجتمع الأوروبيّ. وسُجِّل خلال شهر كانون الثّاني/ يناير (2018م) وحده نشر ما يقرب من (700) منشور رسميّ يروّج لتنظيم الدّولة الإسلاميّة «داعش» على الشّبكة العنكبوتيّة[23].

وكان مفوّض الأمن البريطانيّ في بروكسل، «جوليان كينغ»، أوضح في تصريحات صحفيّة أنّ «هناك تحوّلاً في طبيعة الهجمات الإرهابيّة، حيث سُجِّل ارتفاع في أعداد الأشخاص الّذين ينزعون إلى التّطرّف من خلال توجيهات وتعليمات تأتيهم عبر الإنترنت. ويُشار في هذا الصّدد إلى أنّ الدّراسات المتخصّصة أكّدت

22. شركة هواوي وجريدة «سبوتنيك» عناوين تراجع ريادة الغرب، www.alquds.co.uk/ شركة-هواوي-وجريدة...، تمّت زيارة الموقع بتاريخ 23 نيسان/أبريل 2019م.

23. أورونيوز Euronews، مكتب بروكسل، «المشرّعون الأوروبيون يقررون إلزام شركات الإنترنت بإزالة المحتوى الإرهابي»، حسن الرّفاعي، آخر تحديث، 17 نيسان/أبريل 2019م، https://arabic.euronews.com/2019/04/17/european-legislators-decide-to-commit-internet-companies-to-remove-terrorist-content?fbclid=IwAR1LV5NPhx6uHjaBEUkgb7Fy5NKNSdOVu3UNJaGO-lqLgEEP5TMl_tMTiFs

أنّ المحتوى الإرهابيّ على الإنترنت، من شأنه أن يساعد في تجنيد المؤيّدين للفكر الإرهابيّ، وأن يسهّل تنفيذ الأنشطة الإرهابيّة. ولفت المفوّض «كينغ» إلى أنّ **كلّ هجوم إرهابيّ على مدار العامين الماضيين، كان له حضورٌ على الإنترنت، إمّا من خلال التّحريض أو التّعليم والتّوجيه أو التّمجيد.**[24]

4. دراسة حالة تونس والـ«فايك نيوز»:

تمثّل تونس، من وجهة نظر الباحث، عيّنة ثريّة جدّاً للدّراسة والاستقراء؛ فهي من جهة أولى بلد يشبه ثقافيّاً العديد من الدّول العربيّة، ومن ثم يمكن اعتبار المجتمع التّونسيّ منهجيّاً «عيّنة تمثيليّة جيّدة» للمجتمعات العربيّة الأخرى. ومن جهة ثانية، وهنا مكمن الإغراء، **تُعدّ تونس بمناسبة تجربتها الدّيمقراطيّة النّاشئة، أرضاً رخوة وليّنة لفؤوس «الفايك نيوز».** ومن هذه النّاحية، فإنّ العمل عليها كعيّنة يَعِدُ بالكثير من النّتائج. ومن هذا المنطلق، **فإنّ عيّنتنا التّحليليّة ستكون بدرجة أساسيّة صفحات «الفيسبوك» ما بين سنتي (2018) و2019م، لما شهدته هاتان السنتان من أحداث سياسيّة مهمّة في علاقتها بالانتخابات التّشريعيّة والرّئاسيّة.**

يشتغل التّونسيّون بكثرة على وسائل التّواصل الاجتماعيّ (Social Media)، وخاصّة «الفيسبوك». وككلّ العالم، الآن، فإنّ **صفحات الكذب والدّعاية المغلوطة، التّونسيّة أو المهتمّة بالشّأن التّونسيّ، تنوّعت وتعدّدت.** نجد، مثلاً، «**فضائح تونس**»، و«**الصّوت التّونسيّ**»، و«**الكلّ ما عدا الشّاهد**» (tout sauf Chahed)... وإجمالاً تشترك جميع هذه الصّفحات بمهاجمة العديد من السّياسيّين التّونسيّين.

وقد سجّلت صفحة «**طفيليّات تونس**» (Les parasites de Tunis)، الّتي تمّ إنشاؤها في (17) كانون الثاني/يناير (2019م) على الفيسبوك، وفي أقلّ من أربعة أشهر، ما يقارب (167000) تفاعل (إعجاب، تعليقات، مشاركة). كما تعرّض رئيس الحكومة يوسف الشّاهد وحكومته إلى نقد شديد. وكانت أهمّ القضايا المطروحة للنّقاش متعلّقة بالفساد وسوء الإدارة، وشخص رئيس الجمهوريّة الباجي قائد السّبسي، ومهدي جمعة رئيس الحكومة الأسبق، وحزب النهضة. وكانت هذه الصّفحة لطيفة مع قناة نسمة التّلفزيونيّة، ومع رئيسها نبيل القروي الّذي ترشّح لاحقاً لرئاسة الجمهوريّة.

وفي (17) كانون الثاني/يناير (2019م)، تمّ إنشاء صفحة ثانية تُسمَّى «الصّوت التّونسيّ»، سجّلت أكثر من (24000) منخرط في (15) أيار/مايو (2019م). ومن بين منشوراتها الخمسة المرئيّة ثلاثة

24. جوليان كينغ، المفوّض الأوروبيّ المكلّف بالأمن، «لا يمكننا خفض مستوى خطر الإرهاب إلى الصّفر»، دراسة: «نصف عدد الإرهابيّين الفرنسيّين والبلجيكيّين لهم سوابق جنائيّة»، موقع المفوّضيّة الأوروبيّة، بروكسل، أيار/مايو 2019م.

مقاطع فيديو، تدين إغلاق قناة نسمة التّلفزيونيّة، وتجمع كلّ منها بين (2000) و(3000) ردّ فعل (إعجاب، تعليقات)[25].

ومن بين أهمّ الموضوعات الّتي تتناولها صفحة «الصّوت التّونسيّ» حالة مؤسّسات البلاد، وارتفاع مستوى الفساد، والتّهديدات المحدقة بالدّيمقراطيّة. وطرحت الصّفحة السّؤال الآتي: «ألا يجب علينا إصلاح الحكومة بشكل كامل، واختيار مرشح جديد أقرب إلى اهتمام التّونسيّين؟».

وخلال الفترة المتراوحة بين (7 و27) شباط/فبراير (2019م)، ظهرت خمس صفحات جديدة: «الكلّ ما عدا الشّاهد»، «**فدّينا من السّياسة والسّياسيّين**»، «**تونس 24**»، «**منظّمة القانون والدّيمقراطيّة في المغرب الكبير**»، و«**حبّي تونس**». خلال ثلاثة أشهر، حصدت ما يقارب (240000) مشترك. وتمّ بعد ذلك، وتحديداً خلال شهر آذار/مارس (2019م)، إنشاء أربع صفحات أخرى، وهي: «**الإنسان لأخيه الإنسان**»، «**أوقفوا التّضليل والأكاذيب تونس**»، «**ثورة في القمامة**»، و«فضائح تونس». وتمكّنت هذه الصّفحات الأربع، في غضون شهرين فقط، من تجميع ما يقارب (200000) اشتراك.

وفي العموم، **تمّ إنشاء (11) صفحة متّهمة بشبهة «الفايك نيوز»** خلال الفترة المتراوحة بين (17) كانون الثاني/يناير و(12) آذار/مارس (2019م)، كان لها ما يقارب (500000) اشتراك.

واعتباراً من (15) أيار/مايو (2019م) كان عدد المشتركين ما بين (9083) مشتركاً لـ «منظّمة القانون والدّيمقراطيّة في المغرب الكبير»، و(104268) لـ«فضائح تونس». وهذه الصّفحة الأخيرة، الّتي تمّ إنشاؤها في (12) آذار/مارس، تتقدّم بشكل ملحوظ خلال ما يزيد عن شهرين من وجودها. ربّما الاسم جعلها تفتكّ السّبق؛ **لأنّ المواطن يبحث بطبعه عن الفضائح، حتّى إن كانت مصطنَعة أو مفبرَكة أو مضخَّمة. فهذا زمن إغراء «الفايك نيوز» لمستخدمي الإنترنت الاجتماعيّة.**

يشتمل المحتوى الّذي تمّ تحليله على هذه الصّفحات على (359) مشتركاً، وتولّد أكثر من مليون تفاعل (إعجاب، تعليقات ومشاركة)، و(36) مقطع فيديو مع ما يقارب (8) ملايين مشاهدة، وفي يوم واحد بقيت صفحة «الكلّ ما عدا الشّاهد» تعرض ثلاث حملات إعلانيّة نشطة في وقت واحد.

25. منية بن حمّادي ومالك خضراوي ومروان بن مصطفى وشيماء مهدي، موقع انكفاظة، http://inkyfadha.com/fr/2019/06/03/tunisie-facebook-israel/: 09- 06-2019 17H

وقد تمّ إنشاء هذه الصّفحة «الكلّ ماعدا الشّاهد» في (7) شباط/فبراير (2019م). ويوحي اسمها، منذ الوهلة الأولى، بالعداء الواضح لرئيس الحكومة وأقاربه. وسجلت مقاطع الفيديوهات الّتي نشرت على هذه الصّفحة، وقبل إلغائها، أكثر من (7.6) مليون مشاهدة، وهي تدين تصرّف الحكومة وتتّهمها بالفساد.

أمّا صفحة «ضاقوا ذرعاً بالسّياسة والسّياسيّين» فقد تمّ إنشاؤها في (12) شباط/فبراير (2019م)، ليحصد منشورها الأوّل أكثر من (13000) تفاعل.

وتنشر هذه الصّفحة، الصّور المركّبة المعادية للسّياسيّين التّونسيّين، وتُظهر عداءً واضحاً للشّخصيّات والأحزاب السّياسيّة ككلّ. وقد واظبت الصّفحة، طيلة الثّلاثة أشهر، على عرض صور وأخبار عديد الشّخصيّات السّياسيّة، وأهمّها يوسف الشّاهد، وقيادات حزبه، وأعضاء الحكومة، ورئيس الجمهورية الباجي قائد السّبسي، وقيادات نداء تونس، ورئيس حركة النّهضة راشد الغنّوشي، وحمّة الهمّامي، ومهدي جمعة، والمنصف المرزوقي، وسامية عبّو، ومحسن مرزوق، وعبير موسي، وقيس سعيّد، وسليم الرّياحي.

وقد وصلت هذه الصّفحة في (15) أيار/مايو (2019م) إلى ما يقارب (100000) مشترك، ولم ينجُ من نقدها سوى نبيل القروي وصافي سعيد.

ومع نهاية شباط/فبراير (2019م)، أخذت صفحة «منظّمة القانون والدّيمقراطيّة في المغرب العربيّ» في الظّهور، وازداد عدد مشتركيها ليصل عند إلغائها إلى حدود (10000) مشترك على الفيسبوك.

وفي العموم، تتقدّم الصّفحات الإحدى عشرة المهتمّة بالشّأن التّونسيّ على «الفيسبوك» شيئاً فشيئاً، لتقدّم مضموناً يستهدف جمهوراً بعينه. وتُنشر بعضها بالفرنسيّة، بينما تنشر أخرى باللّغة العربيّة.

وسجّلت صفحة «فضائح تونس»، خلال شهرين فقط من وجودها، حوالي (100000) اشتراك. وتتمحور جلّ مواضيعها حول (الأخبار الدّينيّة، الاغتصاب، سفاح المحارم، القتل، الاحتيال، وغيرها...). وتنشر محتوى مثيراً للقلق عن وضع البلاد.

وسواء تمّت كلّ هذه الحملة على شبكة التّواصل الاجتماعيّ «فيسبوك» بتكليف وتمويل من قِبَل أشخاص أو كيانات، فإنّ الشّركة الاتّصاليّة المنفّذة هي المحرّض وفقاً لموقع «فيسبوك». فمؤسّسة «مجموعة أرخميدس» (Archimedes Group) الإسرائيليّة، هدفها **«تغيير الواقع والفرز في الانتخابات في جميع أنحاء العالم».**

وتعمل مؤسّسة «مجموعة أرخميدس» أساساً في أفريقيا وجنوب شرق آسيا وأمريكا اللّاتينيّة. **وقال أرخميدس: «لعبت فرقنا دوراً مهمّاً في العديد من الحملات السّياسيّة، مثل الانتخابات الرّئاسيّة أو غيرها من المشاريع على الشّبكات الاجتماعيّة في جميع أنحاء العالم».**

وليست هذه المرّة الأولى الّتي يتمّ فيها ذكر شركة إسرائيليّة يديرها عميل استخبارات سابق في مثل هذا النّوع من الأنشطة المعتمدة على «الفايك نيوز»، والهادفة إلى خدمة أجندات عيّنة في عدد من البلدان. ففي عام (2016م)، اتّصلت «ريك جيتس» في إطار الحملة الانتخابيّة لدونالد ترامب بشركة (Psy-Group)، وهي مجموعة من عملاء المخابرات الإسرائيليّين السّابقين حسبما ذكرت صحيفة «نيويورك تايمز».

وقد أعلنت «فيسبوك» في (16) أيار/مايو (2019م) **عن إلغائه ما يقارب (265) صفحة أو حساباً، تديرها شركة إسرائيليّة تعمل على التّأثير في الرّأي العامّ**، ولاسيّما في البلدان الإفريقيّة. ومن بين البلدان الّتي ذكرتها الشّبكة الاجتماعيّة، نجد نيجيريا والسنغال وطوغو وأنغولا والنّيجر وتونس.

وأشارت «فيسبوك» إلى **أنّ هذه الحسابات والمجموعات والصّفحات تقدّم نفسها، باعتبارها حسابات محلّيّة في الدّولة الّتي ترغب في التّأثير على انتخاباتها**، حيث يتمّ بث أخبار ومواد سياسيّة.

وقال المسؤول عن سياسة الأمن الإلكترونيّ في فيسبوك «ناثانيل جليتشر»، في بيان، **«استخدم الأشخاص وراء هذه الشّبكة حسابات مزيَّفة لإدارة صفحات ونشر محتوى وزيادة المشاركة بشكل مصطنع»**. وحدّد مجموعة «أرخميدس» (Archimedes Group) الإسرائيليّة كمصدر لبعض الأنشطة. وقال «جليتشر»: «هذه المؤسّسة وجميع الشّركات التّابعة لها محظورة الآن من فيسبوك. وقد تمّ إصدار خطاب إيقاف».

وذكرت فيسبوك، أنّ **المجموعة الإسرائيليّة أنفقت أكثر من (800) ألف دولار على إعلانات وحسابات في منصّة فيسبوك.**

وقال «جليتشر»: **«إنّ مجموعة أرخميدس لديها (65) حساباً مباشراً و(161) حساباً مزيّفاً و(12) حدثاً على فيسبوك وأربعة حسابات على إنستغرام... ونحو (2.8) مليون حساب صفحة أو أكثر من هذه الصّفحات.** في الوقت نفسه، فإنّ هذه الحسابات والصّفحات والمجموعات **استقطبت حوالي (2.8) مليون متابع، في حين اشترك حوالي (5500) حساب في واحدة من هذه المجموعات على الأقلّ، وتابع حوالي (920) شخصاً حساباً أو أكثر من حسابات «أنستغرام» التي تقرّرَ حذفها. وتأتي**

هذه الخطوة في إطار جهود أوسع تقوم بها فيسبوك لمعالجة المخاوف بشأن ثغرات الخصوصيّة وخطاب الكراهيّة على وسائل التّواصل الاجتماعيّ»[26].

في تونس، البلد العربيّ الأفريقيّ، ألغيت (11) صفحة من «فيسبوك» و«أنستغرام». وتُهمة هذه الصّفحات المموّلة بالاستشهار (Sponsorisé) أنّها مشبوهة، تُدار من شركة محترفة خارج أرض تونس، وتحديداً الكيان الإسرائيليّ، **وتعتمد من جملة محتوياتها «الفايك نيوز». وقد لاقت الصّفحات رواجاً كبيراً لدى معارضي النّظام الحاكم، مقابل تنديد الحكومة ومساندِيها، بحجّة أنّ ما تروّجه مجرّد أكاذيب وإشاعات، أو تضخيم لبعض المشاكل والصّعوبات «فايك نيوز»**، تقودها أطراف معارضة للحكومة، وتُعِدّ للانتخابات الرّئاسيّة والتّشريعيّة في موفّى سنة (2019م).

يمكن لشركات مثل مؤسّسة «**مجموعة أرخميدس**» (Archimedes Group) **المتخصّصة في التّلاعب بالجماهير على الشّبكات الاجتماعيّة التّأثير على الرّأي العامّ** في كثير من الأحيان في الموضوعات السّياسيّة، وأن تخدم الدّول والعلامات التّجاريّة والمجموعات السّياسيّة بطريقة لامركزيّة.

ومن غير المحتمَل أن تؤدّي إزالة الصّفحات المرتبطة بمؤسّسة «مجموعة أرخميدس» بوساطة الفيسبوك إلى وقف انتشار المحتوى «المضلّل» في تونس[27] وغير تونس من بلدان العالم.

بعض الّذين تضرّروا من حملة «الفايك نيوز» في تونس، وتحديداً جماعة الحكومة، **أرادوا توظيف إغلاق الفيسبوك لصفحات مشبوهة في إطار حملاتهم الانتخابيّة، وروّجوا أنّ الإغلاق تمّ بناء على احتجاجات منهم؛ لأنّ الكيان الاسرائيليّ يستهدفهم شخصيّاً، وهو شكل آخر من «الفايك نيوز» الموجَّه لمواجهة «الفايك نيوز»**. فمن تستهدفه إسرائيل يكتسب شرعيّة جماهيريّة ومصداقيّة سياسيّة. والواقع، أنّ إدارة فيسبوك تقوم باستمرار بغلق مواقع وصفحات عبر العالم لأسباب مختلفة.

ففيسبوك أغلق في تونس صفحتين: (Tunisie mon amour وStop a la désinformation). صفحة «تونس حبّي» (Tunisie mon amour)، أغلقها «فيسبوك» بطلب وتبليغ كثيف من وكالات أسفار عالميّة؛ لأنّها تروّج صوراً من تركيا والمغرب وتبيعها للحرفاء على أساس أنّها في تونس. **وهذا، شكل آخر من «الفايك نيوز» السّياحيّ الاقتصاديّ أزعج وكالات الأسفار العالميّة الّتي تشتغل على تركيا**

26. رابط بلاغ إدارة الفاسبوك https://newsroom.fb.com/news/2019/05/removing-coordinated-inauthentic-behavior-from-israel

27. منية بن حمّادي ومالك خضراوي ومروان بن مصطفى وشيماء مهدي، موقع انكفاظة، http://inkyfadha.com/fr/2019/06/03/tunisie-facebook-israel/: 09- 06-2019 17H

والمغرب كوجهات سياحيّة، بما أنّ الصّفحة التّونسيّة لديها صدى على مستوى سوق السّياحة العالميّة. أمّا الصّفحة الثّانية الّتي أغلقها فيسبوك، فهي (Stop a la désinformation)، وهي صفحة لا علاقة لها بنقد الحكومة.

إنّ وجود شركة إسرائيليّة مختصّة في صناعة ونشر وتطوير الأخبار الكاذبة، تدير أكثر من (265) حساباً على الفيسبوك، موجّهة بالأساس للتّأثير على الانتخابات في البلدان الأفريقيّة وتونس تحديداً، ولفتت الانتباه بسرعة انتشارها بقوّة الدّعم الماليّ (Sponsorisation)، لا يعني أنّ انتساب الشّركة إلى إسرائيل يحمل معنى مباشراً من قبيل أنّ إسرائيل تعادي رئيس الحكومة التّونسيّة يوسف الشّاهد مثلاً.

ولأنّ الشّركة أجنبيّة، وقامت بحملة افتراضيّة قويّة تستهدف التّأثير على الانتخابات في تونس، فهذا يعني أنّ من تعاقد معها يوجد في الخارج، ويتعامل بالعملة الصّعبة. ولأنّ المسؤول الأوّل عن الشّركة طيّار سابق في الجيش الصّهيونيّ، وسيرته الذّاتيّة غامضة وتاريخه غير معروف، **بدا أنّ القصّة معقّدة وتتوافر على مؤشّرات عمل دوليّ مخابراتيّ.**

وفي غياب سياسة اتّصاليّة مضادّة وناجعة لمواجهة «الفايك نيوز» المباغت الوافد من الخارج، نجحت هذه الصّفحات بشكل فجئيّ في تغيير المشهد الافتراضيّ، في ضوء تصاعد الغضب الشّعبيّ على الوضع الاقتصاديّ والاجتماعيّ الصّعب، والانزعاج من سياسات الحكومة في المجالين الاقتصاديّ والاجتماعيّ. وهو ما يفيد **نجاح «الفايك نيوز» في تأدية مهامه، وتنفيذ أجندات من خطّط له بشكل محكم قبل أن تتفطّن «الفيسبوك» للأمر.**

5. التّصدّي للكارثة:

كيف تتصدّى المجتمعات المعاصرة، ولاسيّما المجتمعات الدّيمقراطيّة، «للفايك نيوز»، باعتبارها جزءاً من الإنترنت المظلم، أين تهتزّ علاقة الفرد بأنظمة الحكم وبمختلف أوجه الدّيمقراطيّة؟

«فالإنترنت المظلم، هو جزء من الإنترنت الخفيّ، الّذي لا يمكن الوصول إليه باستخدام المتصفّحات العاديّة أو محرّكات البحث الّتي نستخدمها على الشّبكة العالميّة للمعلومات، مثال «غوغل» أو «ياهو» أو «فاير فوكس». فالإنترنت المظلم له متصفّحات خاصّة، مثل تور (TOR)، فريبت (Freepto)، وفرينت (Freenet)، وغيرها. أمّا **الميزة الأساسيّة لهذه المتصفّحات، فهي إخفاء الأثر، الّذي يمكن أن يتركه المتجوّل على الإنترنت، ومنع تعقّبه أو مراقبته، ما يتيح له: حماية هويّته ومعلوماته، وإنشاء مواقع على**

الإنترنت دون كشف هويّته أو مكان وجوده، وتجاوز برامج الحجب المعتمَدة في بعض البلدان، وتكوين شبكات تبادل معلومات آمنة وإرسال معلومات سرّيّة».[28]

في سياق محاولات التّصدّي للإنترنت المظلم، وتحديداً لاستفحال انتشار ظاهرة «الفايك نيوز»، **هدّدت المفوّضيّة الأوربيّة باتّخاذ إجراءات بحقّ منصّات الإنترنت الكبرى** مثل «غوغل» و« تويتر» و« فيسبوك»، **بعد حملات جديدة من نشر المعلومات الكاذبة ومحاولات تلاعب انتخابيّة على الإنترنت،** لوحظت في الانتخابات الأوربيّة الأخيرة[29]. وأكّدت المفوَّضيّة الأوربيّة على أنّه بات من الضّروريّ اتّخاذ إجراءات إضافيّة من قبل الدّول الأعضاء، ولكن أيضاً من جانب منصّات «غوغل» و«تويتر» و«فيسبوك».

والحقيقة أنّ **دوافع تَحرّك المفوّضيّة الأوروبيّة للتّصدّي لظاهرة «الفايك نيوز السّياسيّ الانتخابيّ» أملتها نتائج الانتخابات البرلمانيّة الأوروبيّة لعام (2019م).** ففي إسبانيا، على سبيل المثال، شكّلت شبكة من حسابات منسّقة على «تويتر»، **دمجت «بين روبوتات (ترسل رسائل آليّة للمستخدمين) وحسابات وهميّة، وتمكّنت من جعل رسائل محدَّدة بين الأكثر انتشاراً،** في خطوة هدفت إلى «تعزيز الدّعم لحزب اليمين المتطرّف فوكس، والتّرويج لفكرة وجود مؤامرة كبرى لإسكات من يحتجّ».[30]

وتعتمد المفوّضيّة الأوروبيّة على مبادرة المنصّات الرّقميّة الطّوعيّة في التّصدّي لحملات نشر المعلومات الكاذبة، وتريد حاليّاً تحديد ما إذا بات ضروريّاً إقرار إجراءات تنظيميّة.

وكانت المفوّضيّة الأوروبيّة والمنصّات الرّقميّة توصّلت إلى **«مدوَّنة سلوك» متعلّقة بالدّعاية الانتخابيّة على الإنترنت.** وموضوع التّلاعب عبر الإنترنت يبقى دائماً على جدول أعمال القمم الأخيرة لرؤساء دول الاتّحاد الأوروبيّ.

ومن جهتها، وضعت شركتا فيسبوك وغوغل في مارس/آذار (2019م) تدابير شفافيّة جديدة متعلّقة بسجلّات الإعلانات السّياسيّة المنشورة الّتي يمكن الاطّلاع عليها، **وبإلزام المعلنين السّياسيّين بالخضوع إلى تدبير تحديد الهويّة والتّدقيق بها.**

---

28. الأشقر جبّور، منى، السّيبرانيّة هاجس العصر، المركز العربيّ للبحوث القانونيّة والقضائيّة، جامعة الدّول العربيّة، بيروت-لبنان، 2016م، ص87

29. «أوروبا تخطّط لمكافحة التّلاعب بالانتخابات عبر الإنترنت»، وكالة الأنباء الفرنسية AFP، العين الإخباريّة، الإمارات العربيّة المتّحدة، السبت 8 حزيران/يونيو 2019م، ص1. https://al-ain.com/article/europe-electoral-manipulation-online?fbclid=IwAR2nwXC6q iR9N4FApyxOiF7hnK2tIwcJH6E8A16k3Y7ZRcmniw-b0GGWQ1g

30. المفوّض الأوروبيّ المكلّف بالأمن، موقع المفوّضيّة الأوروبيّة، بروكسل، أيار/مايو 2019م.

وقد **أيّد البرلمان الأوروبيّ اقتراحاً بإلزام شركات الإنترنت بإزالة المحتوى الإرهابيّ في مدّة لا تتجاوز ساعة واحدة من تلقّيها أمراً من السّلطات بإزالته**[31]؛ لأنّ أغلب هذا المحتوى مُفبرَك باتّجاه إرباك النّظام العامّ، وترهيب عموم المواطنين، وغرس الشّكّ في تَصوُّرهم لعلاقتهم بالمؤسّسات الدّيمقراطيّة وأنظمة الحكم. وينصّ المقترح الأوروبيّ على فرض غرامة ماليّة تصل إلى (4) بالمئة من حجم أعمال الشّركة، في حال سجّلت انتهاكات للقرار. ويراعي قرار البرلمان الأوروبيّ المحتوى المنشور لأغراض تعليميّة أو صحافيّة أو بحثيّة، ولا يُعدّ التّعبير عن الآراء المثيرة للجدل حول مسائل سياسيّة محتوى إرهابيّاً.[32]

ومن **مشاريع القوانين للتّصدّي لظاهرة «الفايك نيوز» أو الإشاعات، نجد ما دعا إليه مخترع الإنترنت** «سير تيم برنرز- لي»، **وهو المطالبة بإجراء دوليّ يحدّ دون الانزلاق إلى مستقبل تكون فيه الإنترنت ذات وظيفة مختلّة.** وقد أكّد «سير تيم برنرز- لي» أنّ **التّصدّي لهذه الظّاهرة يكون من خلال قوانين ونُظُم إلكترونيّة جديدة تحدّ من السّلوك السّيئ عبر الإنترنت.**[33]

وفي هذا السّياق، **انخرطت وكالة الاستخبارات الإسبانيّة في الجدل القائم حول أخبار «فايك نيوز»، وأصدرت كتاباً موجّهاً إلى الرّأي العامّ**، يتضمّن توصيّات لاتّخاذ الاحتياط اللّازم من الأخبار المنشورة في العالم الرّقميّ-إنترنت، ولاسيّما مع اقتراب الانتخابات التّشريعيّة.

ويصف أحد خبراء الأمن الصّراع حول الأخبار بأسلحة الدّمار الشّامل الإعلاميّة. فالرّأي العامّ هو الضّحيّة والمستهدف الرّئيس من خلال ظاهرة «**الفايك نيوز**»، وهي الأخبار المغلوطة الّتي ترغب في التّأثير على المواطنين.

وقد أوصت وكالة الاستخبارات الإسبانيّة القرّاء بتفادي قراءة الأخبار الّتي لا تصدر عن مواقع متعارف عليها ولديها مصداقيّة، والتّأكّد من مصادر الخبر، والبحث عن روابط أخرى للخبر إذا كانت تتمّ الإحالة عليه لمعرفة صدقيّة الخبر والمصدر؛ فهي تعد **أنّ أخطر الأخبار هي ما يقع ترويجها عبر شبكات التّواصل الاجتماعيّ مثل «الفيسبوك» و«تويتر» بأسماء مستعارة وهويّات مزيَّفة.**

---

31. أورونيوز Euronews، مكتب بروكسل، «المشرّعون الأوروبيون يقررون إلزام شركات الإنترنت بإزالة المحتوى الإرهابي»، حسن الرّفاعي، آخر تحديث 17 نيسان/أبريل 2019م، https://arabic.euronews.com/2019/04/17/european-legislators-decide-to-commit-internet-companies-to-remove-terrorist-content?fbclid=IwAR1LV5NPhx6uHjaBEUkgb7Fy5NKNSdOVu3UNJaGO-lqLgEEP5TMl_tMTiFs

32. مشروع قانون أوروبيّ لمكافحة المحتوى الإرهابيّ في الشّبكة العنكبوتيّة، https://arabic.euronews.com/2019/04/17/european-legislators-decide-to-commit-internet-companies-to-remove-terrorist-content?fbclid=IwAR1LV5NPhx6uHjaBEUkgb7Fy5NKNSdOVu3UNJaGO-lqLgEEP5TMl_tMTiFs

33. مخترع الإنترنت يخشى على مستقبل اختراعه، ajel-news.org/5974، تمّت زيارة الموقع بتاريخ 23 نيسان/أبريل 2019م.

لقد **تضرّرت البلدان العربيّة، مثل العراق والمغرب ومصر وتونس وغيرها، من ظاهرة «الفايك نيوز»** من خلال تفشّي الإساءة للحرّيّة، ونشر الأخبار الكاذبة والشّائعات لدى البعض، والتّحريض على العنف والكراهيّة في وسائل التّواصل الاجتماعيّ وبعض المواقع الإلكترونيّة. وكثيرة هي الأمثلة على التّلفيق والافتراء والشّتائم والكلام المعيب بحقّ الكثير من الشّخصيّات العامّة في مختلف المجالات.

ولذلك، تسعى العراق، مثلاً، إلى تأسيس هيئة وطنيّة تُعنى بالأمن الإلكترونيّ والتّصدّي لظاهرة «الفايك نيوز» والجرائم الإلكترونيّة.[34]

والمغرب، نبّهت إلى مخاطر الظاهرة، وتسعى إلى تعديل القانون المتعلّق بالجرائم الإلكترونيّة وجعله أكثر ردعاً[35]. وقد قضت الغرفة الجناحيّة بالمحكمة الابتدائيّة بمدينة «صفرو» المغربيّة في (25) كانون الثاني/يناير (2019م) بالسّجن والغرامة في حقّ مدوّنين نشروا «فايك نيوز» لعامل بوزارة الدّاخليّة واتّهموه بالاستحواذ على ملايين الدّراهم من ميزانيّة المجلس البلديّ. هؤلاء المدوّنون يشتغلون بمدوّنة رقميّة دون وضعيّة قانونيّة، الأمر الّذي جعلهم أمام تهمة انتحال صفة.[36]

ومن بين الدّول الّتي تعاملت مع ظاهرة «الفايك نيوز»، بشكل ردعيّ، نجد دولة مصر، حيث عملت على إصدار مشروع قانون يقضي بمعاقبة مروّجي الشّائعات على مواقع التّواصل الاجتماعيّ. ويتعرّض مشروع القانون إلى عقوبات رادعة تقضي بالسّجن خمس سنوات وغرامة ماليّة تصل إلى مليون جنيه مصريّ، مع فصل مروّج الشّائعة عن العمل إذا كان من بين العاملين في الجهاز الإداريّ للدّولة.[37]

لكن، إذا كان العالم من حولنا يتّخذ كلّ هذه التّدابير من أجل مواجهة حاسمة مع «الفايك نيوز» وآثارها المدمّرة، وينسّق مع بعضه تنسيقاً محكماً لمحاصرتها، فلنا **أن نتساءل عمّا صنعناه نحن في مجال التّنسيق العربيّ/العربي لمواجهة هذه القضيّة الملحّة؟**

34. الدهان يدعو الى تأسيس هيئة وطنية تعنى بالأمن الإلكتروني، www.alsumaria.tv/news/265730/..، تمت زيارة الموقع بتاريخ 23 نيسان/أبريل 2019م

35. مشروع القانون المعدّل للجرائم الإلكترونيّة ما بين حماية حرّيّة الأفراد وتقييد حرّيّة التّعبير، www.alkawnnews.com/article/160620/ مشروع...، تمت زيارة الموقع بتاريخ 24 نيسان/أبريل 2019م.

36. صفرو، "فاك نيوز" صيفطات جوج مدوّنين للحبس، www.siyassi.com/جهات/137547، تمت زيارة الموقع بتاريخ 23 نيسان/أبريل 2019م

37. فايقة فهيم، السّجن والغرامة في انتظار مروّجي الشّائعات. والفصل من العمل وجوبيّ، www.ahlmasrnews.com/809095، تمّت زيارة الموقع بتاريخ 24 نيسان/أبريل 2019م.

الخاتمة:

لاحظنا في سياق بحثنا أنّ العالم الشّبكيّ، اليوم، صار مفتوحاً بالمعنى الفيزيائيّ للعبارة. وهذا الانفتاح، بقدر ما قرّب النّاس، بقدر ما أفسد علاقاتهم. ورأينا أنّ **بثّ الأخبار الكاذبة، لم يعد حكراً على بلد بعينه، بل صار ظاهرة كونيّة، توجد في الأركان الأربعة للعالم. ولاحظنا أنّ الأخبار الكاذبة تحوّلت أحياناً إلى «لعبة أمم».**

والأخطر من كلّ ذلك، هو ما لاحظناه على مستوى الأهداف الّتي يرجو مروّجو الأخبار الكاذبة تحقيقها؛ فهي لا تكتفي بتحديد مصير الأشخاص الّذين تستهدفهم، بل تتعدّى ذلك إلى اللّعب بمصير الأمم. وهنا، بالضّبط، وجه المأساويّة في الموضوع.

لقد لاحظنا في ثنايا التّحليل كيف **مثّلت السّاحة التّونسيّة نموذجاً مُصغَّراً للسّاحة العربيّة والأفريقيّة «للتّلاعب بالعقول» عبر «الفايك نيوز».** ولعلّ المتابع الجيّد لمسار الانتخابات التّشريعيّة والرّئاسيّة التّونسيّة، الّتي «وضعت أوزارها» للتّوّ، سوف يلاحظ بما لا يدع مجالاً للشّكّ **حجم التّضليل (la déformation) والتّزييف الّذين صاحبا الحملتين، وأثّرا دونما شكّ على النّتائج، إذا لم نجزم بأنّه وجّهها.**

وفي النّهاية، وإذا كان لا بدّ من التّوصيات التزاماً بتقاليد البحوث الاجتماعية، فإنّ **الباحث يرى أنّ الوقت قد حان كي توحّد الدّول العربيّة مجهوداتها في مقاومة الأخبار الزّائفة. وإذا كانت مؤسّسة التّلفزة الوطنيّة التّونسيّة قد بادرت بفتح نافذة على موقعها سمّتها بشكل صريح مقاومة الأخبار الكاذبة (Fake News)، فإنّه أولى وأحرى بالمؤسّسات العربيّة الحكوميّة والمدنيّة أو الأهليّة أن تعمل على خطاها، وتنسّق بينها بإحكام، وتستلهم من العمل الأوروبيّ المشترك، من أجل خلق «قبّة حديديّة» تواجه المعلومات الكاذبة، في إطار حرب المعلومات الّتي استبدل فيها العدو نفسه البندقيّة بصفحات مزيَّفة على منصّات التّواصل الاجتماعيّ.**

قائمة المراجع:

المراجع باللّغة العربيّة:

الكتب:

الأشقر جبّور، منى، السّيبرانيّة هاجس العصر، المركز العربيّ للبحوث القانونيّة والقضائيّة، جامعة الدّول العربيّة، بيروت-لبنان، 2016م.

توفلر، ألفين، تحوّل السّلطة، المعرفة والثّروة والعنف على أعتاب القرن الحادي والعشرين، ترجمة لبنى الرّيدي، مج. 1، 2، الألف كتاب الثّاني 181، 217، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة-مصر، 1995-1996م.

الجمّوسي، جوهر، وبن إسحاق، إشراق، شبكات التّواصل الاجتماعيّ تحوّلات في المجتمع والسّياسة والإرهاب، المعهد التّونسيّ للدّراسات الاستراتيجيّة، تونس، تشرين الأوّل/ أكتوبر 2019م.

حسين ملكاوي، أسماء، أخلاقيّات التّواصل في العصر الرّقميّ هبرماس أنموذجاً، المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السّياسات، بيروت-لبنان، تشرين الأوّل/ أكتوبر 2017م.

دريدا، جاك، تاريخ الكذب، ترجمة وتقديم رشيد بازي، المركز الثّقافيّ العربيّ.

وولتون، دومينيك، الإعلام ليس تواصلاً، دار الفارابي، بيروت-لبنان، 2012م.

المجلّات والجرائد:

جودة، مصطفى، «تداعيات الانتخابات الأمريكيّة»، جريدة الأهرام المسائي، بتاريخ: 16 كانون الثاني/يناير 2017م، /.../massai.ahram.org.eg

مجلّة «جون أفريك»، تصدر في باريس عاصمة فرنسا، وهي ناطقة باللّغة الفرنسيّة، وتُعنى بالشّأن الأفريقيّ.

المواقع الإلكترونيّة:

«7 قنوات و90 ألف صفحة فيسبوك أَذْرُع داعش الإعلاميّة»، نُشر في 12 آذار/مارس 2015م، السّاعة 10.01، موقع «جمهوريّة» http://goo.gl/8cpngg، المصدر: صفد، تاريخ الزّيارة 12 آذار/مارس 2015م.

«أوروبا تخطّط لمكافحة التّلاعب بالانتخابات عبر الإنترنت»، وكالة الأنباء الفرنسية AFP، العين الإخباريّة، الإمارات العربيّة المتّحدة، السبت 8 حزيران/يونيو 2019م، السّاعة 07: 16 مساء، ص.1. https://cutt.ly/srwCECT

https://cutt.ly/2rwCWES

www.alquds.co.uk/ بسبب-أهمية...، تمّت زيارة الموقع بتاريخ 23 نيسان/أبريل 2019م.

أورونيوز Euronews، مكتب بروكسل، «المشرّعون الأوروبيون يقررون إلزام شركات الإنترنت بإزالة المحتوى الإرهابي»، حسن الرّفاعي، آخر تحديث، 17 نيسان/أبريل 2019م، https://cutt.ly/qrwCRaC

التّقرير الشّهريّ لموقع فيسبوك، أيار/مايو 2019م.

جوليان كينغ، المفوّض الأوروبيّ المكلّف بالأمن، «لا يمكننا خفض مستوى خطر الإرهاب إلى الصّفر»، دراسة: «نصف عدد الإرهابيّين الفرنسيّين والبلجيكيّين لهم سوابق جنائيّة»، موقع المفوّضيّة الأوروبيّة، بروكسل، أيار/مايو 2019م.

الحكّام الجدد... والعبيد الجدد، columns/543561.html/3729/www.albiladpress.com/news/2018 تمّت زيارة الموقع بتاريخ 11نيسان/أبريل 2019م.

الحكّام الجدد... والعبيد الجدد، www.ezinearticlesarab.com/، تمت زيارة الموقع بتاريخ 11 نيسان/أبريل 2019م.

الدهان يدعو إلى تأسيس هيئة وطنية تعنى بالأمن الإلكتروني، www.alsumaria.tv/news/265730/..، تمت زيارة الموقع بتاريخ 23 نيسان/أبريل 2019م.

رابط بلاغ إدارة الفيسبوك https://cutt.ly/YrwCTG3

شركة هواوي وجريدة «سبوتنيك» عناوين تراجع ريادة الغرب، www.alquds.co.uk/ شركة-هواوي-وجريدة...، تمّت زيارة الموقع بتاريخ 23 نيسان/أبريل 2019م.

صفرو، «فاك نيوز» صيفطات جوج مدوّنين للحبس، www.siyassi.com/جهات/137547، تمت زيارة الموقع بتاريخ 23 نيسان/أبريل 2019م.

عماد، محمّد، «الإفتاء المصريّة: 80% من «داعش» تمّ تجنيدهم عبر وسائل التّواصل الاجتماعيّ»، خبر.نات، نشر بتاريخ 30 تموز/يوليو 2015م، تاريخ الزّيارة 30 تموز/يوليو 2015م.

فايقة فهيم، السّجن والغرامة في انتظار مروّجي الشّائعات... والفصل من العمل وجوبيّ، www.ahlmasrnews.com/809095، تمّت زيارة الموقع بتاريخ 24 نيسان/أبريل 2019م.

مخترع الإنترنت يخشى على مستقبل اختراعه، ajel-news.org/5974، تمّت زيارة الموقع بتاريخ 23 نيسان/أبريل 2019م.

مشروع القانون المعدّل للجرائم الإلكترونيّة ما بين حماية حرّيّة الأفراد وتقييد حرّيّة التّعبير، www.alkawnnews.com/article/160620/مشروع...، تمت زيارة الموقع بتاريخ 24 نيسان/أبريل 2019م.

مشروع قانون أوروبيّ لمكافحة المحتوى الإرهابيّ في الشّبكة العنكبوتيّة،

https://cutt.ly/ZrwVZqD

المفوّض الأوروبيّ المكلّف بالأمن، موقع المفوّضيّة الأوروبيّة، بروكسل، أيار/مايو 2019م.

منية بن حمّادي ومالك خضراوي ومروان بن مصطفى وشيماء مهدي، موقع إنكفاظة، http://inkyfadha.com/06/03/06/fr/2019/09- 2019-tunisie-facebook-israel/: 17H

الموقع الإلكترونيّ Le Blog du modérateur, http://www.blogdumoderateur.com/chiffres-internet/، média des professionnels du digital، Chiffres Internet–2017، Thomas Coëffé, le 29 décembre 2016، تاريخ زيارة الموقع 24 نيسان/أبريل 2017م، ص.1.

المراجع باللّغة اللّاتينيّة:

Internet World Stats – Usage and Population Statistics, https://www.internetworldstats.com/, Date de la visite du site: 02 Avril 2019.

LES GAFAM, www.youtube.com/watch?v=QSnXDdJvbNE, Date de la visite: 5 octobre 2019.

Visactu, 31 mai 2019, 11: 57, https://bit.ly/2W6mhxg.

MominounWithoutBorders

Mominoun

@ Mominoun_sm

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

info@mominoun.com
www.mominoun.com

All rights reserved © 2021

جميع الحقوق محفوظة © 2021